

الفصل الأول

مكانة العقل فى فلسفة الفارابى

أولا : نشأة الفارابى العلمية

ثانيا : ماهية العقل وأقسامه

ثالثا : سمات المعرفة العقلية

رابعا : قوانين المنطق بين العقل والمعقول

الفصل الأول

مكانة العقل في فلسفة الفارابي

أولاً : نشأة الفارابي العلمية

ولد أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي بمدينة وسيج التابعة لولاية فاراب القريبة من خراسان عام ٢٥٩ هـ الموافق ٨٧٣ م ، وكانت وفاته بدمشق عام ٣٣٩ هـ الموافق ٩٥١ م عن عمر يناهز الثمانون عاما .

بدأ الفارابي المرحلة الأولى من حياته العلمية بتعلم مبادئ العلوم واللغات الفارسية والتركية واليونانية والعربية ، وهي اللغات التي أعانته على فهم وتحصيل علوم اليونان والعرب ، وفي هذه المرحلة استطاع دراسة جانب كبير من مبادئ العلوم الرياضية والطبية والفلسفية ، ثم انتقل الى المرحلة الثانية عندما رحل الى بغداد للقاء علمائها في الفقه والمنطق ولیدرس الفلسفة والمنطق على يد بشرى بن يونس ويوحنا بن حيلان ، ثم درس ببغداد أيضا فنون الموسيقى والطب والعلوم الرياضية ، ثم انتقل الى المرحلة الثالثة والأخيرة وهي مرحلة التأمل والتأليف عام ٣٣٠ هـ فذهب الى بلاد الشام للقاء سيف الدولة الحمداني الذي أحسن وفادته ووفر له كافة الوسائل المعينة له على أداء دوره ورسائله ولقاء تلاميذه .

وأثناء هذه المراحل الثلاث كان الفارابي طوال حياته زاهدا في متاع الدنيا قانعا بمطالعة الكتب وتأليف المقالات والرسائل والكتب وتصنيفها ، ولم تترك له هذه الحياة الفرصة للتفكير في نفسه أو حتى أن يتزوج ، لأنه كان مؤثرا للعلزلة والتأمل في أقوال السابقين وفلاسفة اليونان وعلى رأسهم أفلاطون وأرسطو ،

والتي فهم عميق فكرهم ومؤلفاتهم فهما دقيقا وقام بشرحها والتعليق عليها وتوجيه النقد للعديد من جوانبها، بالإضافة الى أنه أدرك جوانب الاشتراك والاختلاف بينها وبين معارف وعلوم الفقهاء ورجال الكلام وكذلك فلاسفة الاسلام ، ولذا اشتهر بلقب المعلم الثاني بعد أرسطو المعلم الأول للفلسفة ، وذلك لأنه كان أكبر وأشهر الفلاسفة الذين جاءوا بعد أرسطو وأكثرهم فهما وشرحا وتعليقا على مؤلفاته ، كما أنه المؤسس الأول للفلسفة الاسلامية على الحقيقة لأنه أسس لجميع المعارف والعلوم العربية في السياسة والفلسفة والمنطق والموسيقى والطبيعات والإلهيات واحصاء العلوم وترتيبها عند العرب .

ولقد اهتم رجال التاريخ والفكر من العرب الأوائل والعجم أيضا بفلسفة الفارابي ومدى اهتمامه بالعقل وعلوم الحكمة ، ووصفوا نشأته العلمية ورصدوا جهوده في التأليف والترجمة ، ومن هؤلاء ابن جلدج في كتابه تاريخ الأطباء حين قال : كان الفارابي في شبابه يضرب بالعود ويغنى ، فلما التحى وجهه قال : كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف ، فترع عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة فقرأهما قراءة رجل متعقب على مؤلفيها ، فبلغ من معرفة غوارها الغاية ، واعتقد الصحيح منها وعلل السقيم منها ، وألف في الطب كتباً كثيرة . وذكر القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي في كتابه التعريف بطبقات الأمم كيف اهتم الفارابي بعلوم المنطق والرياضيات فقال : لقد أخذ الفارابي صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر ، فبذ جميع أهل الإسلام فيها ، وأرى عليهم في التحقيق بها ، فشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها وجمع ما يحتاج اليه منها في كتب صحيحة العبارة لطيفة الإشارة منبهة على ما أغفله الكندي وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم وأوضح

القول فيها عن مواد المنطق الخمس ، وأفاد وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها وكيف تصرف صورة القياس في كل مادة منها ، فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة .

وذكر ابن أبي أصيبعة ت ٦٦٨ هـ في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء كيف تعرف الفارابي على مؤلفات أفلاطون وأرسطو في الفلسفة والأخلاق والطبيعات والمنطق ، وأنه صنع بنفسه آلة موسيقية غريبة يسمع منها ألحانا بديعة يحرك بها الانفعالات ، وأن سبب قراءته لعلوم الحكمة أن رجلا أودع عنده جملة من كتب أرسطو طاليس ، فاتفق أن نظر فيها وتحرك الى قراءتها ، وأنه لم يزل الى أن أتقن فهمها وصار فيسوفاً بالحقيقة .

وذكر العديد من المؤرخين والحكماء أن الفارابي قدم كما هائلا من المؤلفات في كافة فروع المعرفة الانسانية وخاصة في المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والموسيقى والطب وكان من أشهرها :

— كتاب مختصر الفلسفة ، وكتاب في معنى الفلسفة ، وكتاب المختصر في المنطق ، وكتاب المدخل الى علم المنطق ، وكتاب المقاييس ، وكتاب الواحد والوحدة ، ثم كتاب الجوهر ، ثم كتاب الزمان ، وكتاب المكان ، وكتاب الخلاء ، وكتاب الخطابة وهو عشرون مجلدا ، وكتاب ثقافت الفلاسفة ، وكتاب الفصوص الذي عرف باسم فصوص الحكم ، والذي طبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ . وكتاب التنبيه على سبيل السعادة ، وكتاب تحصيل السعادة ، وكتاب الحروف المسمى بكتاب الألفاظ والحروف ، وكتاب الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون والإلهي وأرسطو طاليس ، طبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ ، وكتاب آراء أهل المدينة الفاضلة الذي طبع بمصر عام ١٣٢٤ هـ ، وكتاب المجموع الذي طبع بمصر عام ١٣٢٥ هـ ،

وكتاب مبادئ الفلسفة القديمة الذى طبع بمصر عام ١٣٢٨ هـ ، وكتاب الموسيقى الكبير الذى طبع بعنوان صناعة علم الموسيقى وقد ألفه للوزير أبى جعفر المنصور محمد بن القاسم الكرخى، وكتاب فى احصاء الإيقاع ، وكتاب السياسة المدنية الذى بدأ بتأليفه فى بغداد وأكمّله بمصر، وكتاب احصاء العلوم والتعريف بأعراضها والذى طبع بالقاهرة عام ١٩٣١ و ١٩٤٩ ، وكتاب فى أغراض فلسفة أفلاطون وأرسطو ، وكتاب السيرة الفاضلة ، وكتاب فى المدخل الى الهندسة الوهمية ، وكتاب فى الرد على جالينوس فيما تأوله من كلام أرسطو ، وكتاب فى الرد على الرازى فى العلم الإلهى .

كما ألف العديد من المقالات والرسائل منها :

— مقالة فى معانى العقل والذى طبع فى القاهرة عام ١٩٢٧ ، وطبع ببيروت عام ١٩٣٢ بعنوان رسالة العقل ، وطبع فى أماكن أخرى بعنوان كتاب العقل والمعقول .

— مقالة فى صناعة الكيمياء .

— رسالة فيما ينبغى أن يقدم قبل تعلم الفلسفة ، طبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ .

— رساله عيون المسائل ، طبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ .

— رسالة فى جواب مسائل سئل عنها ، والذى طبع فيما بعد بعنوان رسالة فى مسائل متفرقة ، وطبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ .

— رسالة نكت أبى نصر الفارابى فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم ، طبع بالقاهرة عام ١٩٠٧ ، وهى التى طبعت فيما بعد بعنوان رسالة فى فضيلة العلوم والصناعات ،

— رسالة في اثبات المفارقات .

— رسالة في النفس والعالم .

— كلام في الشعر والقوافي ، وكلام في الموسيقى ، وكلام في حركة الفلك ،
وكلام في الجوهر .

كما قدم العديد من الشروح والتعليقات على جميع مؤلفات أرسطو منها :

— شرح كتاب المقولات المعروف باسم قاطيغوريوس ، والتعليق على كتاب
القول الشارح المعروف باسم القضايا والتعريفات ، وشرح كتاب تأليف القياس
المنطقي المعروف باسم أناطيقا الأولى ، وكتاب البرهان ويسمى أناطيقا الثانية
، وشرح كتاب الجدل المعروف باسم طويقا ، وشرح كتاب الخطابة المعروف
باسم ريطوريقا ، وكذلك كتاب العبارة ، وكتاب المقولات العشر ، وكتاب
المغالطة المعروف باسم كتاب السفسة ، وشرح كتاب الشعر المعروف باسم
بوطيكا ، وشرح كتاب الأخلاق الى نيقوماخوس ، وشرح كتاب العلم الطبيعي
المعروف باسم السماع الطبيعي ، وكتاب السماء والعالم ، وكتاب الآثار العلوية
، ورسالة النفس والعالم ، وكتاب في أغراض الحكيم المعروف باسم كتاب
الميتافيزيقا لأرسطو .

ولم تتوقف شروح الفارابي على مؤلفات أرسطو فقط بل قام بالتعليق
والشرح لبعض مؤلفات أفلاطون مثل شرحه لجوامع كتاب النواميس لأفلاطون ،
والتعليق على شرح أفلاطون لمقالة النفس للإسكندر الأفروديسي ، وكذلك
تعليقه وشرحه على كتاب المجسطي في علم الهيئة لبطليموس الفلكي ، وكذلك

شرحه لكتاب إيساغوجي لفرغوريوس في المنطق ، وشرح المقالتين الأولى والخامسة من كتاب إقليدس في الهندسة .

ثانياً : ماهية العقل وأقسامه

حدد الفارابي في كتابه معاني العقل والذي طبع تحت مسميات عدة منها : كتاب العقل والمعقول ، ومقالة في معاني العقل ، ورسالة في العقل ، حدد مفهوم العقل وأقسامه بحسب جوهره ووظيفته ، وقدم مفهومًا يختلف إلى حد ما عما قدمه أرسطو في كتاب البرهان وفي كتاب ما بعد الطبيعة ، فالعقل عند الفارابي هيئة ما في مادة معدة لأن تقبل رسوم المعقولات ، ومن ثم فهي بالقوة عقل وسائر الأشياء التي في مادة معقولات بالقوة ، وهذا العقل هو أداة التصور والتمييز والحكم . ولقد أطلق الفارابي على العقل العديد من المسميات فهو النفس الناطقة ، وهو العقل المنفعل بالفعل ، وهو العقل المستفاد ، وهو العقل الفعال ، وهو القوة المخيلة والمصورة . والعقل عند الفارابي في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة هو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة والذي ينبغي تكون صناعته سيدة الصناعات على الإطلاق لا تستخدمها غيرها ، ولا ترأسها صناعة أخرى ، بل تتجه الصناعات الأخرى جميعاً نحو غرضها ، وتسير جميع أفعال المدينة الفاضلة إلى الهدف الذي تقصده ، وينبغي أن يكون هذا العقل هو السيد على الإطلاق الذي لا يمكن أن يرأسه إنسان في المدينة .

والعقل كقوة عاقلة وفاعلة عند الفارابي هو أول وأهم الشروط والصفات التي يجب توافرها في رئيس المدينة الفاضلة ، وأن هذا العقل يجب أن يمر ويتكون من خلال ستة مراحل أو أشكال هي :

— النفس الناطقة : وهى القوة التى يكون بها الإدراك والفهم والتفكير ، وهى كما يقول الفارابى القوة التى يمكن بها أن تعقل المعقولات ويميز بها بين الجميل والقيح ، وبها يحوز الإنسان الصناعات والعلوم ، وهذه القوة أيضا هى الهيئة الطبيعية التى يشترك فيها جميع الأناسى ويمتاز بها الإنسان عن سائر أصناف الحيوان .

— العقل المنفعل بالقوة : وهو القوة القابلة لتلقى المعقولات والانفعال بها ، وهو النفس الناطقة ذاتها إذا نظر إليها من ناحية أنها تتلقى المعقول وتنفعل به .

— العقل المنفعل بالفعل : وهو نفس القوة السابقة بعد أن تتأثر بالمعقولات بالفعل ، وعلى ذلك فالإنسان الذى يكون لديه العقل المنفعل بالفعل يكون فى المرتبة الثانية ، ويكون بينه وبين العقل الفعال درجة واحدة .

— العقل المستفاد : وهو العقل المنفعل بالفعل إذا استكمل بالمعقولات كلها ، وحصل على جميع المعلومات ، وأشرق عليه العقل الفعال بجميع النكليات ، والإنسان الذى يتوافر لديه العقل المستفاد يكون قد وصل إلى أرقى درجة من الحكمة وبلغ مرتبة الامتزاج بالعقل الفعال نفسه ، فصبح إلى مرتبة العقول أدنى منه إلى مرتبة المادة ، ويصبح روحا أكثر منه جسما ، ويصبح هو نفسه عقلا ومعقولا بالفعل ، ويصبح المعقول منه هو الذى يعقل : أى أنه يصبح عقلا لامتزاجه بالعقل الفعال ، ومعقولا لأدراكه جميع المعقولات ، ويصبح المعقول منه هو الذى يعقل لأن جميع المعقولات هى التى كوت الناحية العاقبة منه .

— العقل الفعال : وهو أحد العقول التى تبتق عن الله تعالى كما يستق الضوء عن الشمس ، وهو المشرف على الاسنية ، وعن طريقه تصل العقول الحادثة ، سواء عقول الأناسى أو العقول المنفعلة إلى المعلومات والمعقولات الجزئية والكلية ، فهو الذى يوجهها إلى الإدراكات ويوحى بها إليها ، ويشرق عليها بالمعقولات ، وإذا أشرق العقل الفعال على عقل حادث بجميع المعقولات يكون قد بلغ به إلى أرقى درجة من الحكمة .

— القوة التخيلية : وهى التى تحفظ المحسوسات بعد غيبتها عن الحس ، فتفرد بعضها عن بعض ، وتركب بعضها الى بعض تركيبات مختلفة يتفق فى بعضها أن تكون موافقة لما أحس ، وفى بعض تكون مخالفة المحسوس ، و بفضل القوة التخيلية تستطيع النفوس التى صفا معدنها ، وهى نفوس الحكماء والفلاسفة الذين زودهم الله بحاسة ادراك المعقولات المحضة والمعانى الكلية ، أن تتذكر ما أدركته فى العالم العلوى قبل اتصالها بالأجسام من جزئيات ومعقولات كلية ، ويتم لها هذا التذكر فى اللحظة أحيانا ، وفى النوم أحيانا أخرى ، وتتذكر الجزئيات إذا عرضت لها هى نفسها أو عرض لها فى عالمها هذا ما يحاكيها ، ويتم هذا التذكر بدون جهد ولا عناء ، بل عن طريق إشراق يفيض به العقل الفعال على هذه النفوس ، وأما نفوس العاديين من الناس فهى غير صالحة لتذكر ما أدركته فى عالمها الأول من مثل .

وعلى ذلك فلا يصلح لرياسة المدينة الفاضلة إلا من بلغ عقله المنفعل وبلغت قوته التخيلية أقصى درجات الكمال ، وبلوغ العقل المنفعل أقصى درجات الكمال يكون بامتزاجه بالعقل الفعال امتزاجا يجعله يستحيل الى عقل و يفيض عليه بالمعقولات كلها فيصبح بذلك حكيما وفيلسوبا ومتعللا على التمام . وبلوغ قوته التخيلية أقصى درجات الكمال يكون بتذكرها كافة المعقولات والمثل التى سبق أن أدركتها النفس فى عالمها الأول قبل أن تتصل بالأجسام تذكرها يفيض عليها به العقل الفعال عن طريق الاشراق ، فيكشف بذلك الحجاب عن صاحبها ويصبح فى مرتبة الأنبياء المصطفين .

وهنا يظهر دور العقل الحقيقى والفاعل عند الفارابى ليس فى ادراك المحسوسات فقط بل فى ادراك الكليات وتحقيق السمو بالكائن الحى الى أعلى الدرجات وهى درجة النبوة والرياسة للمدينة الفاضلة ، وأن العقل وحده هو الذى يبلغ بالإنسان الى أعلى درجات

الكمال والسعادة ، وتفسير ذلك عند الفارابي أن النبوة ليست أمراً فوق الطبيعة أو خارفا للعادة ، لأن النبي ليس إلا إنساناً بلغت قوته المتخيلة غاية الكمال ، وذلك بأن يحصل له أولاً العقل المنفعل ، ثم بعده العقل المستفاد الذي يكون به الاتصال بالعقل الفعال ، والذي يأخذ به عن طريق الفيض الجزئيات الحاضرة والمستقبلية .

ولم يكنف الفارابي عرض أوجه الصلة أو لعلاقة بين العقل البشري والإلهي من جهة الإيجاد والفعل ، بل حاول تفسير المعجزات التي يأتي بها الأنبياء تفسيراً عقلياً ، حيث أكد على أن النبوة مختصة بقوى قدسية يدعى لها عالم الخلق الأكبر، كما يدعى لروح الواحد من عالم الخلق الأصغر ، فتأتي معجزات خارجة عن الجبلية والعادات ولا يمنعها شيء من معرفة ما في اللوح المحفوظ ، وعلة ذلك عنده أن النبي والفيلسوف كلاهما متصل بالعقل الفعال ، وأن الفرق بينهما أن الأول وهو النبي يال هذه الرتبة بكمال قوته المتخيلة بعد كمال القوة العاقلة له ، على حين يصل إليها الفيلسوف بالنظر والتفكير ، وتفسير ذلك عنده أن العقل الفعال يفيض على القوة العاقلة ويحولها تنتقل من القوة إلى الفعل ، وبهذه القوة يصل الفيض أو الوحي من هذه القوة إلى القوة المتخيلة .

إن الحديث عن أقسام العقل عند الفارابي لا يعني بالطبع معاني العقل الستة التي ذكرناها آنفاً ، ولا يعني أيضاً انقسام العقل إلى فروع ، ولكن يعني أن للعقل قوى وملكات تسمى نفوس أو عقول ، وأن العقول بأنواعها سواء الإنساني أو السماوي ، النظري أو العملي فكل قسم أو نوع قوى وفضائل أي سمات تميزه ودرجة معينة لقدرته ، بحيث يكون لكل عقل قوتان على الأقل أحدهما منفعله والأخرى فاعلة ، وهي بمثابة العلة الفاعلة التي تتميز بالخلود والبقاء ، أما المنفعله فهي العلة الفانية .

وهنا يمكن ملاحظة التشابه بين هذا التقسيم ، والتقسيم الذي قال به أرسطو عند التمييز بين العقل حينما يفكر تفكيراً نظرياً مستهدفاً المعرفة لذات المعرفة فهو العقل النظري، وبين العقل حين يتجه إلى الأغراض العملية والخلقية فهو العقل العملي.

لذلك فإن القول بأن الفارابي أول من صاغ نظرية العقول وقسمها إلى نظرية وعملية قول بجانبه الصواب ، لأن هذه النظرية في الأصل ترجع إلى جهود أرسطو وأفلاطون وأفلوطين معاً ، وإلى قسمة الوجود إلى عالمين أو وجودين ونسبة العقول إليهما ثم تقسيم النفوس إلى نفس نباتية وغاذية وحيوانية وناطقة بحيث يكون لكل نفس منها عقل حسب ما يناسبها من عمل ، وأن لكل فلك عقل لامادي يحركه.

ومع هذا فإننا لا ننكر دور الفارابي في عرض وشرح وتقديم نظرية العقول العشرة أو تقسيم العقول حسب طبيعتها ووظيفتها ، أو قسمة العقل حسب أنواع الفضائل وترتيبها ، فالفضائل النظرية يمثلها أقسام العقل النظري ، والفضائل الفكرية والخلقية يمثلها أقسام العقل العملي ، بحيث تتألف الفضائل النظرية من العقل النظري والعلم اليقيني والحكمة ، أما الفضائل الفكرية فتألف من العقل العملي كالتعقل والذهن و جودة الرأي وصواب الظن.

وقبل التعرض لتقسيم الفارابي للعقول ووظيفتها وكيفية عملها ، يجب التعرف على دور الفارابي نفسه في تقسيم العقول ، ومدى غمزه عن سابقه والتعرف على حقيقة دوره في معرفتنا بنظرية العقول وفائدة ذلك لنا ، وأين موقع العقل الإنساني في نظرية الفارابي المعرفية.

لذا يجب أن يقرر بداية أن الفارابي لم يقل بازدواجية العقل أو قسمته ، لكنه أدرك أن العقل الإنساني لا يمكن أن ينفصل عن النفس سواء كانت هي النفس الحيوانية أو الناطقة لأن النفس الحيوانية هي الحاسة التي تقوم بوظيفة الإدراك الحسى عبر الوظائف المعرفية المعتادة كالتمثيل والتذكر والإحساس باللذة والألم وغيرها من الانفعالات ، أما النفس الناطقة فهي العاقلة التي تقوم بوظيفة التفكير والتصور والتمييز والحكم.

أما ما يجب معرفته عن العقل قبل أداء وظيفته فهو مجرد قوة مستعدة للإدراك ، وهي قبل المعرفة في حال القوة ويحتاج لقوى نفسانية أخرى لتحريكها ودفعها كالترع والإرادة والإحساس أو الانفعال وهي تسمى بالقوة الفاعلة التي تحول قوة العقول إلى فعل ، وكيفية ذلك أن جملة الإحساسات والأفكار المجردة التي تتكون لدى الإنسان تتحول بالقوة الفاعلة إلى صور عقلية جوهرية لتكون بمثابة موضوعات الفكر الخالص منفصلة عن المادة ، ومن ثم تبدو كنشاط عقلى خالص.

ولكى ندرك حقيقة دور الفارابي في تقسيم العقول لابد من إدراك أوجه التشابه والارتباط بنظرية أفلاطون في المعرفة بالمثل وحديثه عن الوجود الممكن المنفصل والتميز عن عالم المثل المفارق ، وكيف كانت نظرية الفارابي في تقسيم العقول حسب قسمة الوجود هو استكمال لنظرية أفلاطون التي تجعل العلم بالوجود والمثل من حيث هي مبادئ للوجود وسيلة ضرورية لبناء عالم الإنسان الواعى في مجمل الكون.

ثم يظهر تميز الفارابي في 'عتماده على العقل النظرى في وضع البنات الأولى لفلسفته الأنطولوجية العامة ليكون الحس الأساسى عنده هو حدس الوجود

إطلاقاً ، وأن المعاني الأولى التي يدركها العقل إدراكاً مباشراً دون عملية التجريد ومن خلال فاعلية العقول الأربعة وهي العقل بالقوة ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد ، والعقل الفعّال ، وهي التي تسمح له بالانتقال من مطلق الوجود إلى الوجود المطلق^٤ .

ويأتي الفارابي في العديد من مؤلفاته بتقسيم العقل كما قسمه من قبل أرسطو إلى عقل نظري وآخر عملي ثم يقسم كل عقل إلى مراتبه أو إلى القوى والفضائل التي تحكمه ، بحيث تبدو وكأنها مجتمعة في عقل مستقل بدوره ووظيفته ، وجاء ذلك تفصيلاً في كتاب الفارابي : الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو وكذلك رسالته في معاني العقل ، ثم في آخر مؤلفاته وهو كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ، وهنا نلاحظ على بعض الباحثين في فكر الفارابي أنهم لا يميزون بين لفظي علمي وعملي أو بين لفظي نظري وفطري ، فالبعض يرى أن الفارابي يقسم العقل إلى نوعين أحدهما علمي والآخر نظري ، وأن العلمى هو الذى يدرك الجزئيات وما فيها من معاني الجمال أو القبح ، وأن من يستعمل هذه القوة استعمالاً حسناً كانت أفعاله خيرة لأنها تجنبه الشرور والآثام وتجعل الخير أيسر لديه ، أما العقل النظري فهو هيئة ندرك بها الكليات والمجردات ، وبه يستطيع صاحبه أن يميز بين ما هو حق في ذاته وما ليس كذلك ، وأن الأصل في هذا العقل وجود الملكة الفطرية التي ندرك بها الأمور البديهية إدراكاً مباشراً سواء كان ذلك في التصورات كإدراك معنى الوجود ومعنى الوحدة ، أو في التصديقات كإدراك أن الكل أعظم من الجزء.

^٤ د. فهمي جدعان : الفارابي : مدخل إلى تجربة العلم والفعل عنده ، ضمن كتابه : نظرية التراث ، دار الشروق ، الأردن ١٩٨٥ . ص ٢٣٩ ، ٢٤٣

ولأن منهجنا هو استنتاج نص الفارابي نفسه ثم بيان حقيقة قصده وبيان ما يتميز به رأيه عن غيره وموقع ذلك الرأي في الباء العام لنظريته في المعرفة ، كان لابد من الاعتماد أولاً على مذكره الفارابي في أقسام العقل وطبيعة كل عقل ووظيفته كما جاء في رسالته المسماه في معاني العقل، فهو يقول : إن العقل هو القوة الناطقة عند الإنسان وبه يتميز الإنسان عن سائر الحيوان ، وهو كما كان عند أرسطو عقلاً : عقل عملي وآخر نظري يتفرع عنهما العديد من الأحوال والدرجات هي :

١- مرتبة العقل الهولاني : ويسمى العقل بالقوة وهو جزء من النفس وقوة من قواها وهو استعداد فطري موجود لدى جميع البشر ، وبه يستطيعون إدراك الأمور المعقولة وانتزاع صور المحسوسات مما هي وتجزئتها ، ولأن هذا العقل أشبه بالمادة الأولى مسمى بالهولاني ، وهو في هيئته أو طبيعته كهيئة في مادة تنطبع عليها صور الموجودات كما تنطبع النقوش على الشمع وهيئة النقوش هذه هي المدركات أو المعقولات. ولعل ذلك وراء تسمية الفارابي العقل الهولاني مرة بالنفس وأخرى بجزء النفس ومرة بالعقل بالقوة ومرة بالهيئة وهكذا .

٢- مرتبة العقل بالملكة : ويسمى العقل بالفعل وهو مرتبة أسمى ، أو مرتبة تالية بعد العقل بالقوة أي بعد مرحلة تجميع المعلومات أو الحصول على طائفة من المعقولات بالفعل ، بعد ذلك تصير لهذا العقل ملكة أي قدرة متكونة لديه ، فالمعقولات بالفعل هي التي انتزعت من موادها وصارت صوراً للعقل ، وأصبح العقل بما عقلاً بالفعل. ولذا فإن كونها معقولات بالفعل أو عقلاً بالفعل شيء واحد بعينه. وهذا العقل نوع متقدم من الاستعداد للحصول

المدركات بالفعل والأشياء الحاصلة منه إما أن تكون صوراً للمحسوسات أو المعاني المجردة ، ومثال الأول الصورة المنتزعة لشيء محسوس بعد تجريدها من علائق المادة ، ومثال الثاني معنى الفضيلة والعدل والوفاء وأمثالها.

٣- مرتبة العقل المستفاد : وبه تتم أعلى مراتب الإدراك وهو مرتبة يصبح فيها العقل البشرى قادر على إدراك الصور المجردة التي لم تغالط المادة أصلاً ، فإذا كان العقل بالفعل يدرك المعقولات المجردة وهي التي كانت في موادها وانتزعت منها فإن العقل المستفاد يستطيع أن يدرك الصور المجردة التي لم تكن قط في مادة وتكون دائماً مفارقة ، وذلك مثل العقول السماوية أو المفارقة. وأهمية الوصول إلى درجة العقل المستفاد ترجع في نظر الفارابي إلى أنها أسمى مراتب الإدراك البشرى التي لا يبلغها العقل بالفعل إلا بعد التخلص من جميع العلائق المادية حتى لا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر فيعقل هذا العقل ذاته ويصير موضوع تعقله حينئذ هو ذاته ، وقد وصل صاحبه إلى هذه المرتبة بعد طول مجاهدة وأناة وتعمق في مسائل ما وراء الطبيعة فيستشرف الملأ الأعلى ويصبح لديه العقل المستفاد. والذين يصلون إلى هذه المرتبة عند الفارابي طائفتان من الناس هما الفلاسفة ويصلون إلى هذه الدرجة بالبحث وأعمال العقل وكثرة التأمل ، ثم الأنبياء الذين يصلون إلى هذه الدرجة بالمخيلة القوية ، وهذا أسمى ما يمكن أن يصل إليه بنو البشر. هذا بالإضافة إلى أن العقل المستفاد كلما كان في غنى عن المادة كلما كان قريباً من العقل الفعال ، وتصبح نفسه قادرة على الاتصال بالعقل الفعال فتصبح إلهية بعد أن كانت مادية، ويؤكد الفارابي على أن من يصل إلى درجة العقل المستفاد تنكشف له الخفيات ويتصل مباشرة بعالم العقول المفارقة.

٤- مرتبة العقل الفعال : بالرغم من كونه ليس من مراتب العقول الإنسانية لأنه عقل كوني عام فهو عند الفارابي واهب الصور ، وهو الروح الأمين ، وهو روح القدس الذي يخرج المعقولات من القوة إلى الفعل ، لأن المعقولات الموجودة به هو الذي يهبها إلى العقل الإنساني حين يصل إلى مرتبة العقل المستفاد. وأهمية ذلك العقل في أنه لا تحصل معرفة إنسانية من أى نوع بدونه ، وأن حصول المعرفة في الذهن وكذلك صحتها متوقفتان عليه ، ولذلك سمى فعالاً لأن العقل المستفاد عند الإنسان يتفعل به ويتصل به ويتلقى المعارف منه ، كما أنه هو الذي يمكن العقل الإنساني من الانتقال من القوة إلى الفعل. ويصف الفارابي مرتبة هذا العقل ودرجته بالقياس إلى العقل البشري عند بيان مفهوم العقل الذي ذكره أرسطو في المقالة الثالثة من كتاب النفس ، وهو المفهوم ذاته الذي أورده الفارابي في كتابه الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون الإلهي وأرسطو طاليس فقال : فأما العقل الفعال الذي ذكره أرسطو في المقالة الثالثة من كتاب النفس هو صورة مفارقة لم تكن في مادة ولا تكون أصلاً ، وهو نوع ما عقل بالفعل قريب الشبه من العقل المستفاد وهو الذي جعل تلك الذات التي كانت عقل بالقوة عقلاً بالفعل ، وجعل المعقولات التي كانت معقولات بالقوة معقولات بالفعل. ونسبة العقل الفعال إلى العقل الذي بالقوة كنسبة الشمس إلى العين التي هي بصر بالقوة ما دامت في الظلمة ، ومعنى بالظلمة هو الإشفاف بالقوة وعدم الإشفاف بالفعل. فالبدء الذي به صار البصر بصيراً بالفعل بعد أن كان بصيراً بالقوة وصارت المبصرات التي كانت مبصرات بالقوة مبصرات بالفعل (الإشفاف الذي حصل للبصر عن الشمس). فعلى هذا المثار يحصل في الذات التي هي عقل بالقوة شيء ما منزلته منه منزلة الإشفاف بالفعل من البصر ، وذلك الشيء يعطى إياه العقل

الفعال فيصير مبدأ به تصير المعقولات التي كانت بالقوة معقولات بالفعل ، وكما أن الشمس هي التي تجعل العين بصيراً بالفعل ، والبصيرات مبصرات بالفعل بما تعطيها من الضياء ، كذلك العقل الفعال هو الذي جعل العقل الذي بالقوة عقلاً بالفعل بما أعطاه من ذلك المبدأ ، وبذلك بعينه صارت المعقولات معقولات بالفعل. والعقل الفعال هو نوع من العقل المستفاد ، وصور الموجودات هي فيه لم تزل ولا تزال إلا أن وجودها فيه على ترتيب غير الترتيب الذي هي موجودة عليه في العقل الذي هو بالفعل ٥.

٥- مرتبة العقل العملي : والعقل في هذه المرتبة أو الدرجة عند الفارابي قسم عام واحد يتألف من عدة قوى وقدرات وتنحصر مهمته في تحصيل الصناعات والمهن ، ولهذا يطلق عليه البعض اسم العقل الشرى ، وآخرون يطلقون عليه مسمى الذكاء الاصطناعي ، وهذا العقل هو الذي يطلق عليه الفارابي العديد من المسميات مثل : العقل الفطري أو العلم اليقيني أو العلم على سبيل البرهان. وهذه القوى أو القدرات العملية هي التي بها يعرف الإنسان ما شأنه ما يعلمه بإرادة ، والمهياة منها هي التي بها يحار الصناعات والمهن ، والمروية هي التي يكون بها مأخذ الفكر والرؤية في شيء مما ينبغي أن يعمل أو لا يعمل. وعند إطلاق اسم الفطري أو اليقيني على العقل العملي، فالتقصود به القوة التي تحصل لنا بالطبع لا يبحث ولا قياس ، وبها تحصل مبادئ العلوم والمقدمات الضرورية الكنية لا عن قياس أصلاً ولا عن فكر

^٥ الفارابي ، أبو نصر : الجمع بين رأي الحكيمين ، مطبعة الكتبي بمصر ، ص ٤٢، ٤١

بل بالفطرة والطبع ، ولهذا فإن جميع ما يقع به أوله من العلوم صادق ويقين ولا يقترن بخطأ قط لأن معارفه التي يدركها ضرورية بديهية ٦.

ولا شك أن ما أثاره الفارابي من معاني ووظائف وتقسيمات للعقول ، وكيفية أداء كل عقل لدوره كان هو الأساس الفلسفي الذي اعتمدت عليه فرق الشيعة وخاصة الإسماعيلية والإثني عشرية في بناء نظرية النبوة والإمامة على فكرة ترتيب العقول وفكرة الاتصال والتشابه بين عالم الطبيعة وعالم الروح ، واتفاقهم على أن الاتصال هو قبول النبوة من عالم العقل والنفس وحفظها في نسل النبوة وحدها واعتقادهم بأن العقل الأول (الذي هو العقل الفعال عند الفارابي) هو الوساطة بين الله والعالم ، وأن هذا العقل يسدرك الأشياء سلا حاسة وهو عام بالشيء قبل كونه ومحيط بالأشياء لا محاط به ، أما العقل الثاني وهو المقابل للعقل المستفاد عند الفارابي فيطلقون عليه النفس الكلية التي تتصل بشخص الرسول أو الناطقة كما يسمونه لتكشف له التأويل والبرهان.

ولعل هذا التشابه والتقارب بين نظرية الفارابي في المعرفة وترتيب العقول مع آراء فلاسفة الشيعة وخاصة عند أبي يعقوب السجستاني وحيد الدين الكرمانى وغيرهم من فلاسفة الفكر الشيعي وراء تأكيد العديد من الباحثين والمفكرين في الفلسفة العربية على تأثر فلاسفة الإسماعيلية بنظرية العقول التي قال بها الفارابي ٧.

٦ د. ماجد فخري : فلسفة الفارابي العقلية ، مكتب انتشاري للفارابي ، تصدير الدكتور منكور ١٩٨٣ ص ١٩٧ ، ١٩٩

٧ د. يحيى هويدي : تاريخ فلسفة الإسلام في النازع الأندلسية ج ١ النهضة المصرية ١٩٦٦ ص ١٢٦ ، ١١٦

ثالثاً : سمات المعرفة العقلية

لقد تطور مفهوم المعرفة عبر العصور طبقاً لتطور وتغير آراء ومذاهب الفلاسفة وطبقاً لتطور وسائل المعرفة وتحصيل المعلومات ، فلم تعد المعرفة مجرد عملية إدراك حقائق الأشياء وكيفية حدوث هذا الإدراك ، بل أصبحت سعياً وراء تحقيق أهداف هذه المعرفة التي هي في نفس الوقت أهداف وغايات الإنسان ، ثم بحث ماهية المعرفة ذاتها وتحديد غاياتها أو كما يقولون أصبحت معرفة بالمعرفة. ومن ثم ظهرت حديثاً تفسيرات ومعان عدة للمعرفة كمشكلة بحث يدور في إطارها سائر مشاكل الدرس الفلسفي.

ولأن الحاجة إلى المعرفة تتنامى بتنامى احتياجات الإنسان والعصر. فنحن اليوم في أشد الحاجة إلى المعرفة والعلم أى إلى الحقيقة التي عبر عنها الفارابي بقوله: "المعرفة ضرورة لازمة والعلم لا بد منه للزومه وأهميته"^٨.

فالمعرفة غاية كل علم ، والعقل أداة تحصيل كل علم ، ومبحث المعرفة يختص بدراسة حقائق الأشياء وأصل تكوينها وعلة وجود الإنسان والعالم، كما يختص ببحث أنواع المعارف ووسائل تحصيلها ، ومبادئ المعرفة الإنسانية وطبيعتها ومصادرها وإمكان قيامها وحدودها وأهميتها والقيم التي تحكمها. وهذه المعاني قد عبر عنها الفارابي في العديد من مؤلفاته وخاصة تلك التي تتصل مباشرةً بنظرية المعرفة مثل كتاب الحروف، وتحصيل السعادة، وآراء أهل المدينة الفاضلة ورسائله في معاني العقل وعيون المسائل، ورسائله في جواب مسائل سئل عنها ورسائله فيما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة، وغيرها من الرسائل التي

^٨ الفارابي ، أبو نصر : تحصيل السعادة ، تحقيق د. جعفر ال ياسين ، دار الأندلس بيروت ١٩٨١ ص ١١٢

الحقها المحققون بكتابه "الجمع بين رأى الحكيمين أفلاطون والإلهى وأرسطو طاليس.

وإذا كانت الفلسفة التقليدية التى كان يمثلها فلاسفة اليونان والعرب لم تعاني كثيراً من مشكلة المعرفة، فذلك لأنها لم تميز بين العلم والفلسفة الى جانب أنها أولت النظر والتأمل العقلى العنيفة القصوى، ولم يكن لديها وسائل الكشف المعرفى والتكنولوجى كما هو الآن ، والذى يقدم كل يوم وكل لحظة معارف جديدة عن عالمنا المحيط بنا وعن عالمنا الذى نعيش فيه بل وعن عالم النفس فى تحولاته وأعماقه . وعلى الرغم من أن الحاجة إلى المعرفة فى إزدياد وأن تنوع المعارف فى تنامى مستمر لا حدود له ، فإن الأمل باق فى اكتمال المعرفة بحقائق الوجود باطنه وظاهره على أسس تجريبية وبراهين العقل اليقينية الصحيحة .

من أجل ذلك كان من الصعب فهم طبيعة العقل ودوره عند الفارابى .معزل عن نظريته فى المعرفة ، وكذلك لانستطيع بحال فهم موقف الفارابى من العقل .معزل عن فلسفة أفلاطون وأرسطو، كما كان من الصعب بحثها بعيداً عن آرائه فى الفيض والنفس والوجود ، مسائل الجوهر والعقل والمعقول وسائر الفضائل النظرية والفكرية والخلقية كذلك.

ولذا سارت خطوات هذه الدراسة وفق التقسيم التقليدى لمباحث المعرفة إبتداء من إمكان قيام المعرفة ومبادئها ، ثم طبيعة المعرفة الفلسفية عند الفارابى وموقعها بين مثالية أفلاطون المفارقة وواقعية أرسطو التحليلية ، ثم أنواع المعرفة الحسية والعقلية والبرهانية والفطرية ، وكيف استخدم الفارابى نظريته فى تراتب العقول واتصالها بالعقل الفعال فى محاولته التوفيق بين الفلسفة والدين واثبات أهمية المعرفة الفلسفية واكتمال العقل بمختلف المعارف ، وكيف ذهب الفارابى

الى التمييز بين الخاصة والعامة من الناس على أساس قدرات العقل ومستوى الذكاء ، وجعل لكل منهما مستوى خاص من التعليم على حسب قدراته العقلية وقوة ادراكه ومخيلته ، ومن ثم حاول الفارابي جاهدا أن يكون للعقل بمختلف مراتبه مكانا بجانب الوحي وعالم السماء والروح ، وذلك عن طريق اثبات سمات العظمة والجلال والكمال والتشابه والعلم والوحدانية للذات الالهية ، وكيف تقترب النفوس والعقول البشرية من العقل الأول أو العقل الفعال ، ومن ثم أكد الفارابي على أن الله هو الواحد والموجود الأول ولأنه القدم وحده والضروري من نفسه ، والبريء من كل أنحاء النقص ، والذي ليس بمادة ، وأنه تعالى مبين بجوهره لكل ما سواه ، وأنه تعالى ليس مركبا بوجه من الوجوه لأنه الواحد من كل وجه ، ولأنه تعالى ليس بمادة فهو عقل بالفعل يعقل ذاته ، لأن العقل والعاقل والمعقول فيه شيء واحد وهو الذات ، وكذلك فيما يتصل بالعلم ذاته فهو علم وعالم ومعلوم لذاته .

ولم تتوقف هذه الدراسة عند حد عرض آراء الفارابي في هذه المسائل بل تعدت إلى بحث ومناقشة موقف الفارابي من المعرفة البرهانية من حيث طبيعتها وخصائصها ، والمعرفة بالعالم والنفس وكيفيو حدوثها ، ثم موقف الفارابي النقدي الذي ظهر واضحا في آراء من جاء بعده مثل ابن سينا والغزالي ومن عاصره من المتكلمين ، ثم نقد ابن طفيل وابن رشد لآراء الفارابي التوفيقية في الألوهية والبعث والعالم . ثم جاء موقفنا النقدي في ختام البحث في محاولة لحسم العديد من المسائل التي أثارها الفارابي حول مبادئ المعرفة وطرق اليقين مسترشدين ببعض نصوص من مؤلفات الفارابي ذات الصلة بموقفه من العقل وطبيعة معارفه.

ولا شك أن الفارابي كان في مقدمة الفلاسفة الذين يوحّدون بين المعرفة والعلم ، على اعتبار أن العلم هو القدرة التي تخلق كل شيء وأن المعرفة هي الحكمة القائمة على جودة التمييز التي إذا حصلها الإنسان حصل معارف كثيرة هي أساس قيام الصنائع أي الفنون والعلوم .

كما كان في مقدمة أصحاب النزعة التوفيقية أو التقريبية بين الحكمة والشرعية، وبين مختلف الآراء، كما فعل بين أفلاطون وأرسطو ، وكانت غايته من محولته التوفيقية إثبات أن الحقيقة واحدة وأن مصدر جميع المعارف واحد وهو العقل وأن العقل هو كمال النفس وكمال النفس هو العقل وما الإنسان على الحقيقة إلا العقل، وأنه إذا كانت الحقيقة واحدة فإن غاية الإنسان والفكر والوجود واحدة.

بالإضافة الى ذلك كان الفارابي في مقدمة الذين وضعوا دعائم الفكر الميتافيزيقي عند العرب قبل ابن سينا وغيره ، عندما أثار العلاقة بين الواحد والمتعدد وكيفية الإتصال بين عالم العقل وعالم الإنسان، وتحديد ميدان بحث المعرفة الفلسفية حين قال: "إن الفلسفة ليست تنظر في شيء آخر غير المقولات أولاً أي مقولات العقل واليقين ، فلا التعاليم ولا العلم الطبيعي ولا العلم المبدئي تكفيه مقولات العقل ، فأما العلم الإلهي فإنه إنما ينظر أكثر شيء تنظر فيه المقولات، فالمقولات ليست موضوعة لعلم المنطق فحسب بل هي الموضوعات الأولى لجميع الصنائع المنطقية وجميع العلوم الفلسفية ولعلم ما بعد الطبيعة أو العلم الإلهي".^٩

٩- نزار بى ، أبو بصير . كتب الحروف .. تحقيق د. محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٩٠ ص ٣٠

ومن أجل تحديد سمات المعرفة العقلية كان على الفارابي ضرورة التغلب على العديد من الصعوبات التي تواجه عملية الإدراك العقلي ، ومحاولة اثبات مدى الصدق واليقين الذي تنصف به المعرفة العقلية ، ومدى تميزها عن معارف الحس ، فإذا كانت المعرفة العقلية تتميز بسمة الصدق والثبات مثلاً فإن مرجع ذلك إلى قوة العقل على إدراك كافة المعقولات الممكنة وفي مختلف الظروف النفسية والانفعالية للعارف ، ومهما واجهت من صعاب أو عقبات عند مواجهة المعقولات في حالة من شدة الانفعال أو قوة الشيء المعقول وصعوبة إدراكه ، فرغم ذلك تأتي معارف العقل أصدق من معارف الحس ، لأن قوة الحس لا توجد مستقلة عن البدن أما العقل فيوجد مفارق له.

هذا عن مقدار الصدق وعلمته في معارف العقل ، أما سمة الثبات فتظهر عند المقارنة بين الحفظ والفهم ، وعندما سئل الفارابي عن الحفظ والفهم أيهما أفضل قال : الفهم أفضل من الحفظ ، ذلك أن الحفظ فعله إنما يكون في الألفاظ أكثر ، وذلك في الجزئيات والأشخاص ، وهذه أمور لا تكاد تنهاى ولا هى تجدى وتغنى لا بأشخاصها ولا بأنواعها ، والساعى فيها لا يتناهى كباطل السعى. هذا عن الحفظ أما الفهم ففعله في المعاني والكليات والقوانين وهذه أمور محدودة ومتناهية وواحدة للجميع الذى يسعى في هذه الأمور لا يخلو من جدوى .

ويلعل الفارابي فائدة الفهم ومجال عمل العقل فيه عندما يكمل هذه المقارنة بين الحفظ والفهم فيقول : وأيضاً فإن فعل الإنسان الخاص به القياس والتدبير والسياسات والظفر في العواقب فإذا كان معول في ما يختوى ويعرض له على جزئيات حفظها لا يأمن من الغلط والضلال ، إذ الأمور بأشخاصها لا يشبه بعضها بعضاً بجميع الجهات ، ولعل الذى يعرض له لا يكون من جنس ما حفظه

فإذا كان معوله على الأصول والكليات وعرض له أمر من الأمور أمكنه أن يرجع بفهمه إلى الأصول فيقيس هذا بهذا ، وعندئذ قد تبين أن الفهم أفضل من الحفظ^{١٠}.

ومعنى ذلك عند الفارابي أن عمل العقل ليس بالأمر السهل ولا يؤمن من أخطاء العقل لأن هناك العديد من العوامل التي تؤدي إلى صعوبة الإدراك كما تؤدي إلى الخطأ في معارف العقل ، ولعل ذلك وراء القول بأن الفارابي قد فوجئ بهذه الصعوبات التي تواجه عملية الإدراك العقلي.

وسوف يتبين لنا ذلك عند استعراض باقى السمات التي تميز المعرفة العقلية كالتعقل أو التقرير ، أو لضرورة ، والكليّة والإطلاق والصدق والثبات والوضوح وغيرها.

التقريرية : هذه السمة تظهر واضحة عند الربط بين التصورات العقلية وإدراك الماهيات أى حقائق الأشياء لتكون صادقة دائماً ، فتقرير الوقائع يظهر في القضايا البديهية الصادقة كقولنا إن ٤ مجموع ٢+٢ وإن الماء يغلى عند ١٠٠ درجة ، كما تظهر سمة التقرير العقلي عند فهم وتحليل الوقائع السياسية والخلقية والاجتماعية بطريقة منطقية مقبولة . وقد وصف تلك السمة الفارابي في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة وسماها التعقل حين قال : إن القوة التي يستطيع بها الحاكم أن يعالج الحالات المختلفة في السياسة العامة بحسب ظروف كل حالة

^{١١} الفارابي ، أبو نصر : رسالة للمعلم الثاني في جواب مسائل سئل عنها ، ضمن كتاب الجمع بين رأى الحكيمين ، طبعة المكتبة بمصر ص ٧٥

على حده تسمى عند المفكرين القدماء التعقل ، وهذه قوة ليست تحصل بمعرفة كليات الصناعة واستيفائها كلها لكن بطول التجربة في الأشخاص ^{١١}.

والتقريرية عند الفارابي كذلك تعني وصف ما هو كائن بالفعل عن طريق الإدراك المباشر للعلل القريبه الظاهرة ، ولذا فهي تعني الموضوعية في اعتمادها على الملاحظة المباشرة عند بحث الوقائع أو التأمل الكسوي الزماني ، وعند المقارنة والتحليل وكافة العلاقات بين المدركات الذهنية والمسلمات البديهية في العقل.

المحدودية : بمعنى عدم الإطلاق وهي تشير من جهة إلى الصعوبة ، وخاصة عندما يحاول العقل تخطي حدود الزمان والمكان ، أو إلى نقص المعرفة العقلية بالقياس إلى المعرفة الإلهية ، كما تشير إلى تعلق معارف العقل بالموجودات الناقصة في ذاتها، ومعنى محدودية المعرفة العقلية عند الفارابي قد تعني إحصارها في حدود الظواهر الممكنة المحددة هي الأخرى بإطار الزمان والمكان والكم والكيف ، وهذا ما يؤكد الفارابي بقوله : إن الحركة والزمان واللائيها والعدم وأشباههما من الموجودات فالمعقول من كل واحد منها في نفوسنا معقول ناقص إذ كانت هي في أنفسها موجودات ناقصة الوجود ، كما ان العدد والمتلث والمربع وأشباههما فمعقولاتها في أنفسنا أكمل لأنها هي في أنفسها أكمل وجود ^{١٢}.

التنوع : بمعنى تنوع معارف العقل تبعاً لتعدد وتنوع الوقائع أو المعقولات ، وهذه السمة ترجع إلى الاختلاف والتعارض بين عالم الظاهر الممكن وعالم الباطن أو الشيء في ذاته كما تشير إلى إدراك الإنسان للمعقولات باختلاف

^{١١} د. محمد عبد المعر نصر : الفارابي ونظم الحكم السياسية ، ضمن الكتاب التذكاري تصدير الدكتور مذكور ١٩٨٣ ص ٣١١ ، نقلاً عن الملة الفاضلة للفارابي ص ٥٩

^{١٢} الفارابي ، أبو نصر : آراء أهل المدينة الفاضلة ، ط محمد علي صبيح القاهرة ص ١٠، ١١

أنواعها سواء ماهيات منتزعة من أفرادها أم معاني إلهية يتلقاها الفرد عن طريق الفيض الإلهي. كما يأتي التنوع ليدل على اختلاف المعارف تبعاً لاختلاف القوى والملكات العقلية لدى البشر.

التطابق : بمعنى التكامل أو الكمال الناشئ من توافق معارفنا العقلية مع وقائع عالم الحس ، وهو عند الفارابي لا يتحقق إلا بإكمال كل نقص من معرفة ، وهو ما يؤكد الفارابي حين يقول إذا كان المعقول منه في نفوسنا مطابقاً لما هو موجود منه فعلى حسب وجوده الخارج عن نفوسنا تكون معقولة في نفوسنا مطابقاً لوجوده ، وإن كان ناقص الوجود كان معقوله في نفوسنا معقولاً أنقص ، ودليل ذلك أن المدركات الحسية معقولات ناقصة من جهة المعرفة على اعتبار أنها في نفسها موجودات ناقصة ، فالتطابق الذي يعي اليقين يتطلب أن يكون ما في النفس مطابقاً لما هو خارجه.

البرهان : بمعنى الصدق واليقين ، فالمعرفة العقلية في الأصل معرفة برهانية تقوم على قواعد ومبادئ لاستدلال المنطقي ، قد سعى الفارابي في فلسفته المعرفية إلى إثبات ذلك من خلال تحديد وظائف البرهان العقلي مثل: الاهتمام بخوالب الصدق وتحديد معبر له يثبت الصدق في اللفظ والمعنى والقضية ومتى توصف بالصدق والكذب ، وأثبت أن البرهان العقلي يوصلنا إلى معرف استنباطية يقينية وبديهية كما في قضايا الرياضيات والمنطق والإلهيات كذلك ، وهي التي يمكن الوصول بها إلى التصورات الأساسية أو الإدراك العقلي المباشر الذي لا يتضمن استدلالاً ولا تسبقه مقدمات.

الثنائية : وهي تعني تأرجح المعرفة العقلية بين عالم المادة وعالم الروح ، أو بين عالم الظاهر وعالم الباطن . فالوجود كله قائم على الثنائية : في الإنسان بين

الجسم والنفس وفي الوجود بين الإلهي والطبيعي وفي الجسم بين الجوهر والعرض والجزء والكل ، وفي الأخلاق بين الخير والشر والحق والباطل والضلال والهدى. وبالرغم من بعد عالم الروح عن قوى العقل وصعوبة إدراكه ، ورغم أن العقل لا يفهم حقيقة الشيء في ذاته فإنه يمكن للعقل بمساعدة المخيلة أن ينكر حقائق موجودة أو يثبت حقائق لا وجود لها ببراهين عقلية مجردة منطقية شكلاً لا علاقة لها بالواقع الفعلي. ومثال ذلك أشكال المنطق الأرسطي.

ويعبر الفارابي عن هذه الثنائية وأثرها في إضعاف إدراكاتنا العقلية وقصور العقل أمامها فيقول : ولكن لضعف قوى عقولنا نحن عسر تصوره أى صعب تصور الوجود الكلي الذي يشمل العالمين معا ، أى عالم الكمال وعالم الحس فتكون المعقولات التي هي في أنفسنا ناقصة وتصورنا لها ضعيفاً وهذا على ضربين : ضرب ممتنع من جهة ذاته أن يتصور فيعقل تصوراً تاماً لضعف وجوده ونقصان ذاته وجوهره ، وضرب مبزول من جهة فهمه وتصوره على التمام وعلى أكمل ما يكون ولكن أذهاننا وقوى عقولنا ممتنعة لضعفها وبعدها عن جوهر ذلك الشيء من أن تصوره على التمام وعلى ما هو عليه من كمال الوجود. وهذان الضربان كل واحد منهما هو من الآخر في الطرف الأقصى من الوجود ، أحدهما في نهاية الكمال والآخر في نهاية النقص^{١٣}.

فالثنائية إذن في المعرفة العقلية لها جانبها الإيجابي المتمثل في محاولة العقل اقتحام عالم الروح والنفس وفهمه بنفس معايير إدراك العالم المادى وذلك من خلال انتقال صور الموجودات الحسية بالتخيل والتصوير والتذكر وتحولها إلى مدركات مجردة ، وهنا تظهر إيجابية العقل في إدراك هذه الأشياء اللا منظورة ،

^{١٣} الفارابي ، أبو نصر : آراء أهل المدينة الفاضلة ، مطبعة محمد صبيح ، القاهرة ص ١٢ ، ١٣

وكذلك عند التمييز بين المتناقضات وكشف حقيقة التعارض بين المدركات الجزئية والكلية وبين الجواهر ، وأعراضها.

أما الجانب السلبى فى ثنائية المعرفة العقلية فيتمثل فى اختلاف معارف العقل وفشله فى كثير من الأحيان فى حسم قضايا الخلاف أو إثبات صدق ما نعرفه وحقيقة علته إلا بعد وقت وجهد وأناة. ولذا فإن الخطأ فى معارف العقل يرجع إلى أسباب عديدة منها :

- أن التفكير نفسه نوع من الانفعال والتأثر ، ولذا فإن صعوبة الإدراك ترجع فى كثير من الأحيان إلى شدة الانفعال والتأثر.

- عدم الوضوح الناشئ عن تداخل الظواهر وعوامل الإدراك وتداخل المعانى وكثرة الدلالات التى تشير إليها الوقائع أو المعقولات ، فهناك معانى تدل ومعانى بعيدة عن المعنى الحقيقى.

- صعوبة تحديد دلالات الألفاظ بدقة يقبلها العقل ، ولذا كان اهتمام الفارابى بتحديد المفاهيم والمصطلحات التى تساعد على الفهم مثل معنى الذات والعقل والحكمة والنزوم والعلم والسعادة والموجود والجوهر والعرض وغيرها من المفاهيم التى أصبحت مكونات أساسية فى نظرية المعرفة عنده.

- التسرع وعدم التزام الدقة عند تطبيق معايير التقدير الكمية والكيفية ، ثم تداخل عناصر الخطأ والصواب ، ثم غياب المعيار الذى تقاس به المعارف الكلية خاصة تلك التى تخرج عن محال إدراكه.

- الوثوق الكامل فى معارف العقل وحده وإكار أى مصدر آخر للمعرفة مثل الفطرة أو الذوق الفطرى أو التجارب والخبرات ، والقناعة المطلقة بأن العقل

وحده مصدر كافة المعارف ، وأن بدون العقل لا معنى يمكن قبوله ، ولا يقين يمكن تصديقه . عندئذ يحمل العقل فوق طاقته أى أن يتحمل مسؤولية فهم كل ما يحدث فى الكون مثلاً ، أو أن نحملة مسؤولية إدراك العلاقة والاتصال بين العلم الإلهى ورغبات البشر ، مع الاعتراف بأن الصلة موجودة ولكنها غير معقولة أو مدركة.

- استحالة المعرفة الغيبية ، ورغم وثوق الفارابى الكامل فى قدرات العقل وصدق معارفه فإنه يعترف بقصوره فى إدراك عالم الإلهيات لأنه فوق قدراته بسبب ملابسة العقل بالمادة أو النفس بالبدن فيقول : لضعف قوى عقولنا نحن وملابستها بالمادة والعدم يعتاص أى يصعب علينا إدراك كنه الذات الإلهية على الحقيقة والكمال ، ويعسر علينا تصوره ونضعف من أن نعقله على ما هو عليه وجوده ، فإن إفراط كماله يبهرننا فلا نقوى على تصوره على التمام^{١٤}.

-الضرورة : بمعنى أن معارف العقل مطلقة لا تتغير بتغير الزمان والمكان كما يحدث لمعارف الحس ، ولذا فإن معارف العقل تتميز بالضرورة والكلية لأنها عامة لدى جميع البشر ، وعلة ذلك أن بالعقل مبادئ أولية بها يمكن أن ندرك القوانين التى تحكم الكون وتنظمه وتظهره فى صورة الإلزام وحسن النظام.

والضرورة العقلية عند الفارابى تعنى أن العقل هو الذى يفحص كافة المعارف ويقوم بالترتيب والتنسيق والحكم وفق مبادئ محدده كمبدأ الذاتية (الشيء هو نفسه) أو عدم التناقض الذى يقرر أن الشيء لا يمكن أن يكون موجود وغير موجود فى ذات الوقت.

^{١٤} الفارابى ، أبو نصر : آراء أهل المدينة الفاضلة ، طبعة محمد على صبيح القاهرة ص ١٢

والضرورة بمعنى الزوم عند الفارابي تعني أن العقل يدرك من الوجود معناه الثابت وأن العقل هو أعلى درجات النفس الناطقة ، وهو القوة التي هنا يستنبط الإنسان ما يجب عليه فعله من الأفعال الإنسانية ، ، وأن عالم العقول يتميز بمعارفة باليقين الدائم والثبات والضرورة كذلك.

وإلى جانب هذه السمات التي تميز المعرفة العقلية عند الفارابي كما تحدد وظائف العقل الإدراكية ، فإن على العقل تقع مسؤوليات عديدة منها : ضرورة العلم بالمحسوس وغير المحسوس ، ومعرفة حقيقة الشريعة وأصول العقائد والعلم بالأنوهمية وصفاتها وتأييد ما جاء به النبي "صلى الله عليه وسلم" ، وإثبات التوحيد.

هذا في مجال الاعتقاد . أما في المجال الاجتماعي فعلى العقل تقع مسؤولية تحقيق الوعي بأمور الحياة وتنظيم العلاقات ووضع المبادئ والقوانين التي تنظم الاجتماع الإنساني ، وتساهم عملياً في القضاء على عوامل التخلف والجهل ، وتكون مهمة العقل تدبير أحوال الإنسان وتوجيه أفعاله.

وفي المجال الخلقي تقع على العقل مسؤولية تحصيل الفضائل وفي قمتها الخير الأقصى الذي هو السعادة والذي تكن به التفرقة بين الحق والباطل ، أو كما يرى الفارابي أن مهمة العقل في التمييز والتزام مبادئ التعقل فيما سبيله أن يستنبط من الأمور الإرادية التي من شأنها أن تؤثر أو تختب^{١٥}.

وفي المجال المعرفي تقع على العقل مسؤولية إدراك الصور المجردة عن الأجسام والعلائق مثل المعاني الكمية في السدمن أو في الوجود كالتفلس ، وتحصيل اليقين فالعقل كمثل يقول أرسطو هو قوة يستعين بها المرء للوصول بطريقة مباشرة إلى

^{١٥} الفارابي ، أبو نصر : الجمع بين رأي الحكيمين ، مطبعة الكتبي بمصر ص ٣٧

نتيجة يقينية يستنبطها من بعض المقدمات ، وهو أحد أجزاء النفس التي بها تكتسب المعارف النظرية والمبادئ الأولى^{١٦}.

وفي المجال المعرفي أيضاً تقع على العقل مسؤولية التفكير والتذكر والتخيل والحكم والبرهنة وتحصيل الأفكار المعقولة من الأشياء المحسوسة ، وأن يكون مستعداً للتحرك نحو المعقولات لتتحول قوة العقول إلى فعل ، وتصبح المعرفة العقلية بمثابة القوة الفاعلة التي تحول كافة المحسوسات إلى معارف وأفكار وتوجه الإنسان دائماً إلى ما يجب فعله

رابعا : قوانين المنطق بين العقل والعقول

لقد ظهرت أهمية الدراسات المنطقية والاعتماد على مبادئ وقوانين المنطق في بناء نظرية المعرفة عند الفارابي في العديد من مؤلفاته وشروحه ، فالمنطق عند الفارابي كما كان عند أرسطو هو العلم الذي نعلم به الطرق التي توصفنا إلى تصور الأشياء وإلى تصديق تصورهما على حقيقتها ، وهو أيضاً قانون للتعبير بلغة العقل الإنساني عند جميع الأمم والآلة والمدخل لكل العلوم .

فنسبة صناعة المنطق إلى العقل والمعقولات عند الفارابي كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ عند علماء اللغة ، لأن كل ما يعطيناه علم النحو من القوانين في الألفاظ فإن علم المنطق يعطينا نظائره في المعقولات، وعلم النحو إنما يعطى قوانين تخص ألفاظ أمة ما ، أما علم المنطق إنما يعطى قوانين مشتركة تعم ألفاظ الأمم كلها.

^{١٦} د. عبد الحميد درويش : الفلسفة الإلهية عند محمد بن تومرت ، دار المنار ١٩٨٩ ص ٥١

ولم تتوقف وظيفة المنطق المعرفية في رأى الفارابي عند هذا الحد بل تتعداه إلى بيان الحق واليقين في المعرفة والتمييز بينه وبين الظن أو الباطل . ويصف الفارابي فائدة المنطق المعرفية هذه بقوله : "لما كانت الفلسفة إنما تحصل بجودة التمييز، وكانت جودة التمييز إنما تحصل بقوة الذهن على إدراك الصواب، فكانت قوة الذهن حاصلة لنا قبل جميع هذه. وقوة الذهن إنما تحصل متى كانت لنا قوة بما نقف على الحق أنه حق يقين فنعتقده، وبما نقف على الباطل أنه باطل يقين فنتجنبه، ونقف على الباطل الشبيه بالحق فلا نغلط فيه، ونقف على ما هو حق في ذاته وقد شبه بالباطل فلا نغلط فيه ولا نخدع، والصناعة التي بما نستفيد هذه القوة تسمى صناعة المنطق ^{١٧} .

ويذهب البعض الى أن البداية الحقيقية للفكر الميتافيزيقي عند العرب بدأت حين قدم الفارابي نظريته في العقول العشرة كأساس لتفسير مشكلة الصلة بين الواحد والمتعدد، وإثبات تمايز درجات العقول ، وهى الطريقة التي استخدمها الفارابي لإثبات التنزيه لله وذلك بإثبات كماله وقدرته وإرادته وعلمه، وبوصفه العلة الأولى والسبب الأول الذي يصدر عنه وحده كل فكر وحكمة وكل ما هو موجود، ولأن الباري أكمل الموجدات فوجب أن تكون معرفتنا به أكمل المعرفة وأتمها.

وكانت تلك نقطة الانطلاق الى عالم البحث الميتافيزيقي في الفكر العربي حين بدأ الفارابي مرحلة البحث في موضوعات خارج نطاق الحس والعقل ، ومن بعدها انطلق علماء الكلام وفلاسفة العرب بعد الفارابي يبحثون في مسائل

^{١٧} د. حسين على محفوظ : الفارابي في المراجع العربية ط ١٩٧٥ ، ص ٢٨٢

الوجود الإلهي وصفاته وعلاقة الاتصال بسين الممكن والواجب، و قضية حرية الإرادة والنفس وطبيعتها وخلودها وغيرها من مسائل الميتافيزيقا.

وهكذا كان الفارابي في مقدمة من حددوا علل اختلاف المعارف على أساس قدرات العقل ، والتي حصرها الفارابي في ضرورة التمييز بين معارف العقل اليقينية وبين الظن والوهم والتشابه والتضاد وضعف القدرة على التمييز بين الضروري والممكن، وقد عرض الفارابي لهذه المسألة تفصيلا في رسالته "نكت أبي نصر الفارابي فيما يصح ولا يصح من أحكام النجوم"^{١٨}.

ففي إثبات علة الظن والوهم قال: " قد يحسن ظن الإنسان بالعلم الواحد فيظنه أكثر وأحسن وأحكم وأوضح مما هو، وذلك إما لنقص أو بغض يكونان في طبعه، فلا يقدر معهما على الوقوف على حقيقة ذلك العلم".

وذلك لأن الوهم والظن ينقص المعارف ويبعد عن الحقائق، ويعمل العارف في موقف المتردد فلا يميز بين الصحيح والفاسد، أو بين الممكن والواجب، فإن هذا الظن قد يخرج الإنسان إلى قبول ما ليس بكلّي على أنه كلّي، وما ليس بمنتهج من القياسات على أنه منتهج، وما ليس ببرهان على أنه برهان"^{١٩}.

وفي إثبات علة التشابه التي تؤدي إلى التوهم والاختلاف في الأحكام يقول الفارابي: "إذا وجد شيان متشابهان ثم ظهر أن شيئا ثالثا هو سبب لأحدهما فإن الوهم يسبق ويحكم بأنه أيضاً سبب للآخر، وذلك لا يصح في كل متشابهين، إذن التشابه قد يكون لغرض من الأغراض وقد يكون بالذات، ودليل ذلك في القياس قولنا: الإنسان مشاء ، والإنسان حيوان ، فالمشاء حيوان. والفرس شبيه

^{١٨} وهي أحد الرسائل الملحقة بكتاب الجمع بين رأي الحكيمين ، مطبعة الكنتي بمصر ص ٩١ - ١٠١

^{١٩} الفارابي ، أبو نصر : الجمع بين رأي الحكيمين ، مطبعة الكنتي بمصر ص ٩٣

بالإنسان في أنه مشاء، فهو أيضاً حيوان . وهذا لا يصح في جميع المواضع إذ القنفذ أبيض وهو حيوان والإسفنج أبيض لكنه ليس بحيوان^{٢٠}، مع ملاحظة أن الإسفنج حيوان بحري كذلك، وهو ما غاب عن الفارابي. وسوف نناقش هذه العلة بتفصيل أكثر وأوضح ضمن مبحث المعرفة البرهانية وموقف الفارابي منها.

وفي إثبات علة التضاد بين الفارابي أن سبب اختلاف الأنواع هو اختلاف مبادئها التي فيها بسائط العالم، وأن العالم مركب من بسائط صائرة كسرة واحدة وليس خارج العالم شيء، وأن التضاد في الحركة والعنصر أو الماهية و الطبع هو الذي يؤدي إلى اختلاف المعارف، وأن الاختلاف القائم على الظن والتعارض بين الطبائع لا يؤدي إلى اليقين أو الجزم الذي يقوم عليه العلم. وفي ذلك يقول الفارابي: "إن الأمور الممكنة التي وجودها ولا وجودها متساويان ليس أحدهما أولى بها من الآخر لا يوجد عليها قياس، وأى قياس ينتج الشيء وضده فليس يفيد علماً، لأنه إنما يحتاج القياس ليفيد علماً بوجود شيء فقط أو لا وجوده، من غير أن يعيل الذهن إلى طرفي النقيض جميعاً بعد وجود القياس، إذ الإنسان من أول الأمر واقف بذهنه بين وجود الشيء ولا وجوده غير محصل أحدهما، فأى فكر أو قول لا يحصل أحد طرفي النقيض ولا ينفي الآخر فهو هدر باطل"^{٢١}.

وهكذا عبر الفارابي عن مكانة المنطق بين علوم الحكمة، فكان هو القوة التي يكتسب بها الإنسان جودة التمييز بوصفها مصدر وأصل جميع المعارف اليقينية، وهذا المعنى أكدته الفارابي بقوله: لما كانت الفلسفة إنما تحصل بجودة التمييز

²⁰ الفارابي، أبو نصر: الجمع بين رأى الحكيمين، مطبعة الكتبي بمصر ص ٩٣

²¹ الفارابي، أبو نصر: الجمع بين رأى الحكيمين، مطبعة الكتبي بمصر ص ٩٤

وكانت جودة التمييز إنما تحصل بجودة أوقوة الذهن على إدراك الصواب كانت
قوة الذهن حاصلة لنا قبل جميع هذه ، والصناعة التي تستفيد هذه القوة منها
تسمى صناعة المنطق . وسوف تظهر أهمية المنطق في نظرية المعرفة عند الفارابي
عبر فصول هذه الدراسة وخاصة عند رصد جوانب المعرفة العقلية والمعرفة
البرهانية عنده وفوائد استخدام مقولات العقل واليقين .